

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَعَالِمُ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا، وَجَعَلَ لَنَا فِيهِ إِلَى الْخَيْرِ أُسْوَةً وَدَلِيلًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَخْرَجَ اللَّهُ بِبِعْتِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَعَلَ فِي هَجْرَتِهِ دَرْسًا فِي حُسْنِ تَدْبِيرِ الْأُمُورِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ صَدَّقُوهُ وَتَصَرَّوهُ وَاتَّبَعُوهُ وَأَزَرُوهُ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ، وَأَسْتَنْ بِسُنَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَاهُ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ رِضَاهُ، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (١)، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْأُمَّمَ يُحْسَبُ عُمُرُهَا بِمَا أَنْتَجَتْ، وَتُكْتَبُ أَثَارُهَا بِمَا قَدَّمَتْ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْأَعْوَامَ تَمْضِي كَالْأَرْقَامِ، لَا قِيمَةَ لَهَا وَلَا وَزْنَ، إِلَّا إِنْ اقْتَرَنْتَ بِحَدِيثٍ كَبِيرٍ أَوْ اِكْتَشَفَ مُثِيرٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تُبْدِعُهُ الْعُقُولُ وَالْأَفْكَارُ، فَحِينَئِذٍ تَتَذَكَّرُ الْأُمَّمُ هَذَا التَّارِيخَ أَوْ ذَلِكَ، وَيَبْقَى خَالِدًا فِي ذَاكِرَةِ الشُّعُوبِ. وَحَدَّثَ الْهَجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ الْمُبَارَكَةَ مِنْ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ لَيْسَ مُجَرَّدَ رِحْلَةٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَلَيْسَ مُجَرَّدَ قِصَّةٍ تُتْلَى وَحِكَايَةٍ تُرْوَى، بَلْ هُوَ حَدِيثٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ. فَمَا أَحْوَجَنَا إِلَى تَدْبِيرِ مَعَانِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ الْعَظِيمَةِ، وَدِرَاسَةِ دَلَالَتِهَا وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْ نَفَحَاتِهَا، فَإِنَّ لَنَا فِي صَاحِبِهَا ﷺ الْقُدْوَةَ الْحَسَنَةَ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ

اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

(١) سورة الأحزاب / ٧٠ - ٧١.

(٢) سورة الأحزاب / ٢١.

إِنَّ سِيَّاسَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَحْدَاثِ الْهَجْرَةِ إِنَّمَا كَانَتْ لِلْوُصُولِ إِلَى غَايَةِ مَرْجُوَّةٍ وَهَدَفِ سَامٍ، فَمَا عَانَاهُ ﷺ فِي هِجْرَتِهِ مِنْ مَشَاقِّ الْأَسْفَارِ، وَاخْتِبَاءٍ فِي الْغَارِ، وَسَيْرِ مُعْظَمِ اللَّيْلِ وَاكْتِنَانِ مُعْظَمِ النَّهَارِ، لَيْنَالٍ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - شَرَفَ الْهَجْرَةَ وَيُدْرِكُ جَزَاءَهَا وَيَحْظِي بِأَجْرِهَا مِنْ جِهَةٍ، وَلِيَكُونَ فِي ذَلِكَ تَعْلِيمٌ لِلأُمَّةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، لَذَا حَرَصَ ﷺ عَلَى أَنْ يُشَارِكَ فِي الْهَجْرَةِ وَإِنْجَاحِهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالشَّبَابُ؛ فَكَانَ لِلْجَمِيعِ جُهُودٌ مَشْكُورَةٌ، وَأَدْوَارٌ خَالِدَةٌ مَعْرُوفَةٌ؛ فَالْخَيْرُ فِي تَضَافُرِ الْجُهُودِ؛ لِلْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ، وَهَذَا مِنْ أَمَمٍ مَعَالِمِ تِلْكَ الرَّحْلَةِ الْمُبَارَكَةِ، ثُمَّ مَا كَانَ مِنْ أَثَارِهَا الْإِيجَابِيَّةِ عَلَى الْمُجْتَمَعِ، فَقَدْ اسْتَقْبَلَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ إِخْوَانَهُمُ الْمُهَاجِرِينَ أَرُوعَ اسْتِقْبَالٍ؛ فَفَتَحُوا لَهُمْ قُلُوبَهُمْ قَبْلَ بُيُوتِهِمْ، وَتَزَاحَمُوا عَلَى إِكْرَامِهِمْ وَإِيْوَانِهِمْ، لَقَدْ كَانُوا مِثَالًا عَالِيًّا فِي تَطْبِيقِ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))، وَلَمْ يَسْتَغَلِّ الْمُهَاجِرُونَ هَذَا الْحُبَّ الْكَرِيمَ وَهَذَا الْبَذْلَ السَّخِيَّ، بَلْ تَعَفَّفُوا وَشَكَرُوا إِخْوَانَهُمْ عَلَى هَذَا الْإِحْتِفَاءِ، وَأَنْطَلَقُوا يُشَارِكُونَ فِي الْإِنْتِاجِ وَالْبِنَاءِ، لِيَأْكُلُوا مِنْ عَرَقِ جَبِينِهِمْ وَكَدِّ يَمِينِهِمْ، وَيُسَهِّمُوا فِي نُمُوِّ الْمُجْتَمَعِ وَقُوَّةِ اقْتِصَادِهِ، وَنَذَكُرُ حَدَثَ الْهَجْرَةِ فَتَنَذَرُ خُلُقَ السَّمَّاحَةِ الَّتِي اتَّسَعَتْ دَائِرَتُهَا لِتَعْمَّ جَمِيعَ النَّاسِ عَلَى مُخْتَلَفِ الْعَقَائِدِ وَالْأَجْنَاسِ، فَقَدْ أَقَامَ الرَّسُولُ ﷺ بَعْدَ الْهَجْرَةِ عِلَاقَاتٍ مَتِينَةً، وَصَلَاتٍ مَكِينَةً مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَأَقْرَبَ لَهُمْ حُرِيَّةَ الْعَقِيدَةِ، وَضَمَّنَ لَهُمُ الْعَيْشَ آمِنِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ؛ لَقَدْ عَاهَدَهُمْ ﷺ عَلَى أَنْ لَهُمْ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، فَلَا بَغْيَ وَلَا عُدْوَانَ، وَلَا ظُلْمَ وَلَا طُغْيَانَ، فَالْإِسْلَامُ يُقِيمُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ عَلَى أَسْسٍ وَطِيدَةٍ مِنَ التَّسَامُحِ وَالْعَدْلِ وَعَدَمِ نِسْيَانِ الْفَضْلِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ:

الْعِظْمَةُ الْبَاهِرَةُ الَّتِي نَرَاهَا فِي شَخْصِ رَسُولِ اللَّهِ فِي أَصْحَابِهِ لَيْسَتْ أَسَاطِيرَ، إِنَّهَا حَقَائِقُ تُشَكِّلُ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ تَضَنُّحِيَّاتٍ، لِإِعْلَاءِ

كَلِمَةِ الْحَقِّ، فَقَدْ جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَوْلَ مَائِدَةِ الْقُرْآنِ رِجَالًا وَنِسَاءً شَبَابًا وَشَبَابًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَبْعَثُ فِيهِمُ الْأَمَلَ، وَيَرْبُطُهُمْ وَيُوَاطِي بَيْنَهُمْ بَرِبَاتِ الْعَقِيدَةِ وَيَحْتُ عَلَى التَّعَارُفِ، وَيَنْشُرُ الْفَضَائِلَ وَيَحَارِبُ الرَّدَائِلَ، وَيَنْفِذُ شَرِيعَةَ اللَّهِ، وَوَحَدَتْ هَذِهِ الْمُبَادِي نَفُوسًا مُطْمَئِنَّةً آمَنَتْ بِاللَّهِ حَقَّ الْإِيمَانِ، وَسَارَتْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، نَعَمْ لَقَدْ كَانَتْ الْهَجْرَةَ مَدْرَسَةً لِلتَّرْبِيَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَجَرَتْ فِي قَلْبِ الْأُمَّةِ أَغْزَرَ يَتَابِعِ الرَّحْمَةَ وَالنَّبْلَ، فَاَنْطَلَقَ فِيهِمْ صَوْتُ الْأُخُوَّةِ وَالتَّعَاطُفِ وَالتَّرَاحُمِ وَالإِيثَارِ، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١) وَمَا أَحْوَجَ أُمَّتَنَا الْيَوْمَ إِلَى هَذِهِ الْمُبَادِي وَالْقِيمِ! فَلَوْ أَصْبَحَتْ هَذِهِ الْمُبَادِي شِعَارَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَيَاةِ فَسَيَخْتَفِي الْحَقْدُ وَالْحَسَدُ مِنْ أَوْسَاطِهِمْ لِيَحِلَّ مَحَلَّهُ الْوُدُّ وَالْمَحَبَّةُ وَالصَّفَاءُ، فَيَغْدُو الْمُجْتَمَعُ مُجْتَمَعًا أَسَاسُ التَّفَاضُلِ فِيهِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، يَلْتَقِي أَفْرَادُهُ عَلَى دُرُوبِ الْخِدْمَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، الْغَنِيُّ يَعْطِفُ فِيهَا عَلَى الْفَقِيرِ وَيُسَانِدُهُ، وَالْقَوِيُّ يَأْخُذُ بِيَدِ الضَّعِيفِ وَيُسَاعِدُهُ، رَأَيْتُمْ فِي ذَلِكَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٢).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ، وَلِنَتَعَلَّمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَدَلَ الَّذِي بَدَلُوهُ، وَالْعَنَاءَ الَّذِي احْتَمَلُوهُ، وَالْفَوْزَ الَّذِي أَحْرَزُوهُ، وَالذَّوْرَ الْجَلِيلَ الَّذِي نَهَضُوا بِهِ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يُغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ،
وَأَدْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْحَقِّ وَالْهُدَى، وَوَقَّعَهُ لِلْهَجْرَةِ فَكَانَ مِنْهَا الْخَيْرُ

(١) سورة الحشر / ٩.

(٢) سورة الحجرات / ١٠ .

والرضا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو القدرة النافذة، والحكمة البالغة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، كان في هجرته كثير من العظات والعبر، يستفيد بها من اتعظ واعتبر، ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا عباد الله:

جدير بنا معاشر المسلمين أن نستلهم من دروس الهجرة منهاج حياة نسير على نهجه ونقتفي أثره، ومن أهم دروسها أمران: أولاهما: جهاد النفس فمن حرم فضل هجرة الأبدان فلن يحرم فضل هجرة العصيان، يقول الرسول ﷺ: ((المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)). وأما الأمر الآخر فالعمل على نشر تعاليم الإسلام ومبادئه مما يستدعي ونحن نحقق بسنة هجرية جديدة أن نفتح على المجتمع الإنساني بفهم المسلم الواعي المدرك لحقائق الحياة، والمتمسك بتعاليم القرآن والسنة المطهرة، وأن نأخذ بأسباب الحياة المختلفة علماً وعملاً، وهكذا عاماً بعام حتى يتحقق لجيلنا إكمال حضارة الإسلام من حيث انتهت رسالة من سبقنا، والسعي لتوجيه شبابنا في هذا الطريق ولهذه الغاية ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(١).

فانقوا الله - عباد الله -، وخذوا من حادثة الهجرة الدروس والعبر مما يعينكم على النجاح في حياتكم، واعلموا أن خير ما نستفتح به عامنا الجديد ما ندبنا إليه نبينا الكريم ﷺ من صيام يوم عاشوراء وصيام يوم قبله أو بعده، وفي المسند للإمام الربيع من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: ((من صام يوم عاشوراء كان كفارة لستين شهراً، أو عتق عشر رقاب مؤمنات من ولد إسماعيل عليه السلام)).

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكَ اللهُ تَعَالَى
بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ
وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى
سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ
خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ
فِيْنَا وَلَا مَعْنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالنُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا، وَعَمَلًا صَالِحًا، وَعِلْمًا
نَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا، وَيَقِينًا صَادِقًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.
اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ
شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتَبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.
اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمُنْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،
الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ
خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.
رَبَّنَا لَا تَرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.